



مجلة جامعة المدينة العالمية المدكمة
AL-MADINAH INTERNATIONAL
UNIVERSITY JOURNAL (MAJMAA)

Vol. 56 Issue. 3 Year. 2026

السنة ٢٠٢٦

العدد ٣

المجلد ٥٦

ISSN: 2231_9735

في هذا العدد

- ١ - اختلاف شراح صحيح البخاري في فهم حكم النهي - دراسة استقرائية مقارنة في كتاب اللباس من الصحيح .
- ٢ - مشروعية الغرامة التأخيرية في منظور الفقه المعاصر .
- ٣ - فقه الإمام أبي داود - رحمه الله - في تكرار الحديث في كتابه (السُّنن)
- ٤ - قراءة حنبلية في فقه العيش مع الآخر
- 5- The Role of Islamic Finance and Government Support in Enhancing the Financial Performance of SMEs in Libya.
- ٦ - الجريمة الإلكترونية في المملكة العربية السعودية : مراجعة منهجية للأدبيات بين الشريعة الإسلامية والنظام القانوني السعودي
- ٧ - الأحاديث المبدوءة بكلمة (كل) في الكتب التسعة في كتاب فقه العبادات دراسة موضوعية تحليلية .
- ٨ - توظيف الحكمة وتجلياتها الجمالية والفنية في أدب جبران خليل جبران .
- 9- A Bibliometric Analysis of Brain-Based Learning Research in Classroom Contexts (2010-2024): Trends, Influential Contributors, and Thematic Evolution.
- ١٠ - تطبيق القيم الإسلامية وأثرها في تحسين الأداء التنظيمي للبنوك الإسلامية : نحو إطار مفاهيمي إسلامي .
- ١١ - إطار استراتيجي مقترح للتحويل الرقمي في المصارف الإسلامية الليبية : دمج الحوكمة الشرعية ومتطلبات الأمن السيبراني .
- ١٢ - أثر معايير الجودة في الإسلام على التخطيط الاستراتيجي

تصدرها

PUBLISHED BY

جامعة المدينة العالمية

AL-MADINAH
INTERNATIONAL UNIVERSITY



ISSN 2231-9735



9 772231 973002



DOI: <https://doi.org/10.63226/majmaa.v56i3.6014>

قراءة حنبلية في فقه العيش مع الآخر

[A HANBALI READING OF THE JURISPRUDENCE OF COEXISTENCE WITH OTHERS]

Musfir bin Ali Al-Qahtani¹

¹ Professor, Department of Islamic Studies, King Fahd University of Petroleum and Minerals,
Dhahran Kingdom of Saudi Arabia

* Corresponding Author: mesfer@kfupm.edu.sa

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة فقه العيش مع الآخر في المدرسة الحنبلية من خلال تحليل مواقف الحنابلة من المذاهب والاتجاهات الفكرية المختلفة، واستعراض صور التعايش العلمي والفقهية التي شهدتها التاريخ الإسلامي. كما يناقش أسباب التوتر والصراع التي رافقت بعض المراحل التاريخية، ويميز بين المواقف الفردية والتوجه العام للمذهب. ويبرز البحث نماذج من العلماء الحنابلة الذين أسهموا في تعزيز الحوار والتواصل المعرفي والتجديد الفكري، مثل ابن تيمية وابن عقيل وغيرهما. ويخلص البحث إلى أن التراث الحنبلي يتضمن رصيلاً مهماً من القيم والمبادئ القادرة على دعم ثقافة التعايش وإدارة الاختلاف في الواقع المعاصر..

الكلمات المفتاحية: الحنابلة، التعايش المذهبي، فقه الاختلاف، الآخر، التجديد الفقهي..

ABSTRACT

This study examines the jurisprudence of coexistence with others within the Hanbali School by analyzing Hanbali attitudes toward various Islamic schools and intellectual trends. It explores historical examples of scholarly and juristic interaction, while discussing factors that contributed to periods of conflict and tension. The study distinguishes between individual positions and the general orientation of the Hanbali tradition. It also highlights the contributions of prominent Hanbali scholars, such as Ibn Taymiyyah and Ibn A'qil, in promoting dialogue, intellectual engagement, and renewal. The study concludes that the Hanbali heritage contains valuable principles that can support coexistence and constructive management of differences in contemporary societies..

Keyword:. *Hanbalis, Inter-Madhab Coexistence, Jurisprudence of Difference, The Other, Juristic Renewal.*

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. يُعدُّ فقه العيش مع الآخر من الموضوعات التي اكتسبت أهمية متزايدة في الدراسات الإسلامية المعاصرة، لارتباطه المباشر بقضايا التعايش والتسامح وإدارة الاختلاف في المجتمعات الإسلامية. وقد شهد التراث الفقهي الإسلامي نماذج متعددة في تنظيم العلاقة بين المذاهب والمدارس الفكرية المختلفة، وكان للمذهب الحنبلي إسهام واضح في بناء قواعد التعايش والحوار رغم ما يُثار حوله من دعاوى التشدد أو الانغلاق. وتبرز أهمية هذا البحث في الكشف عن الجوانب المضيئة في التراث الحنبلي المتعلقة بفقه التعايش مع المخالف، وإبراز النماذج التاريخية والعلمية التي أسهمت في ترسيخ ثقافة الاحترام المتبادل والتواصل المعرفي بين المذاهب الإسلامية، بما يحقق الاستفادة من هذا التراث في معالجة التحديات الفكرية والاجتماعية المعاصرة.

إشكالية البحث:

تنطلق إشكالية البحث من التساؤل الرئيس الآتي: إلى أي مدى أسهم المذهب الحنبلي في تأسيس فقهٍ للعيش مع الآخر قائم على التعايش العلمي والمذهبي رغم ما ارتبط به تاريخياً من اتهامات بالتشدد أو الصدام مع المخالف؟
أسئلة البحث:

ويتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة عدد من الأسئلة الآتية:

ما حقيقة موقف الحنابلة من المخالفين في المذاهب والاتجاهات الفكرية الأخرى؟ وما أبرز صور التعايش الفقهي والمعرفي بين الحنابلة وغيرهم من المذاهب الإسلامية؟ وما العوامل التي أسهمت في توتر العلاقة بين الحنابلة وبعض الاتجاهات الفكرية عبر التاريخ؟ وكيف يمكن الاستفادة من التجربة الحنبلية في تعزيز ثقافة التعايش في العصر الحاضر؟
أهداف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- بيان مفهوم فقه العيش مع الآخر في التجربة الحنبلية.
- 2- دراسة طبيعة العلاقة بين الحنابلة وبقية المذاهب الإسلامية.
- 3- تحليل أسباب الصراع والتعايش في التاريخ الحنبلي.
- 4- إبراز النماذج الحنبلية التي أسهمت في ترسيخ قيم الحوار والتجديد.
- 5- تقديم قراءة معاصرة يمكن الاستفادة منها في تعزيز التعايش المذهبي.

الدراسات السابقة:

تناولت دراسات عديدة المذهب الحنبلي من جوانب عقدية وفقهية وتاريخية، كما اهتمت بعض الدراسات بموضوع التقريب بين المذاهب وإدارة الاختلاف، ومن أبرزها: كتاب "المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية" لعمر الأشقر، وكتاب "المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد" لبكر أبو زيد، إضافة إلى الدراسات المعاصرة المتعلقة بالتعايش المذهبي والتجديد الفقهي. إلا أن هذه الدراسات لم تُفرد - في حدود اطلاع الباحث - بحثاً مستقلاً

يعالج فقه العيش مع الآخر من خلال التجربة الحنبلية بوصفها نموذجاً تاريخياً ومعرفياً متكاملًا، وهو ما يسعى هذا البحث إلى معالجته.

منهجية البحث وأدواته:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي في تتبع تطور العلاقة بين الحنابلة وغيرهم من المذاهب الإسلامية، والمنهج التحليلي في دراسة النصوص والمواقف الفقهية والفكرية، والمنهج الوصفي في عرض النماذج والشواهد التاريخية ذات الصلة بموضوع البحث، مع الاستفادة من المنهج المقارن عند الحاجة لإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين الاتجاهات المختلفة.

حدود البحث:

ينطلق البحث في حدود النصوص الحنبلية في القرون الثمانية الأولى من الهجرة النبوية.

خطة البحث:

قسمت البحث على مقدمة وخاتمة وأربعة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: الحنابلة في التاريخ الإسلامي وشبهة التشدد في الخصومة.

المطلب الثاني: التعايش بين الحنابلة والمذاهب الأخرى.

المطلب الثالث: موقف الحنابلة من الشيعة والمتصوفة.

المطلب الرابع: ابن عقيل الحنبلي، من شواهد التعايش والتباين الحنبلي.

والله سبحانه وتعالى أسأله التوفيق والسداد والإخلاص وحسن القصد.

المطلب الأول: الحنابلة في التاريخ الإسلامي وشبهة التشدد في الخصومة.

الحديث عن التعايش المذهبي في عصر ثورة التواصل المعرفي بات مهما وملحاً من حيث التناول والاهتمام، فالحاجة المعاصرة للتعايش المذهبي قد لا تكون راجعة للتراث الفقهي العظيم الذي خلفه السلف الأوائل؛ وإن كان ملهماً من حيث الاجتهاد والافتاء، ولكن أجد من وجهة نظري أن الحاجة أعمق في معرفة قواعد التعايش التي خلفوها لأتباعهم خصوصاً في لحظات التداخل الظرفي بين المذاهب زماناً أو مكاناً من أجل الاهتمام بهذا الأدب الرفيع والفقه العميق، فشواهد الائتلاف بالرغم من عمق الاختلاف في الفروع، تؤسس في ذهن الأجيال اللاحقة التي تداخلت كل الظروف والمعطيات التواصلية بين المذاهب والمشارب والتيارات إلى ضرورة استلهاً أدب التعايش وفقه التحاور وحفظ القلوب من الشتات والتباعد، وفي هذا مغنم كبير في تكوين بيئة خضراء منفتحة للاختلاف الذي لا يفسد الود ولا يذهب العلم، و لو تم التركيز على هذا المعنى وتأسيس مفاهيمه وتنزيلها على واقعنا اليوم لترتبت أجيال المسلمين على فقه العيش وتعزيز قيم التراحم وتأسيس مبدأ التعارف بين الشعوب والقبائل والمذاهب والطوائف.

وفي هذا البحث محاولة لرصد أهم القضايا التي تعايش فيها الحنابلة مع الآخر، والمقصود بالآخر في هذا البحث هم: "المخالفون للحنابلة خصوصاً ولأهل السنة عموماً في مواقفهم الكلامية والاعتقادية" وهذا الخلاف قد يكون في مسائل كبار وقد يكون في بعض الفروع، والغاية من ذلك معرفة الموقف من هؤلاء المخالفين والمسوغات التي أطلقت النزاع بينهم في القرون الثمانية الأولى من الهجرة.

الحنابلة وشبهة التشدد في الخصومة.

يتداول الكثير في الشأن الثقافي والاجتماعي شبهة تشدد الحنابلة في خصومتهم ضد المخالفين، وهذا حصل في قضايا الاعتقاد التي ظهرت في زمن الإمام أحمد، حيث عانى وعدّ بسبب موقفه من خلق القرآن، وكانت هذه الحادثة ذات دلالة عظيمة على الأمة وأهل الحديث بشكل خاص، وأتباع المذهب بشكل أخص، وظهرت مواقفهم ضد المبتدعة خصوصاً المعتزلة والجهمية والشيعة، وفيها نوع من الشدة والحزم، وهذا الموقف وإن ظهر في بعض كتب الاعتقاد للأئمة المذهب، إلا أن الواقع لم يكن كذلك، وما جرى في بغداد من معارك ومواجهات كانت بأسباب سياسية واجتماعية غلب عليها التأويل الديني، لكن الموقف العقدي عند الحنابلة كإيمان واعتقاد كان واضحاً في نصرة مذهب السلف على آراء أهل الكلام من المبتدعة وغيرهم.

يحلل شيخ الإسلام ابن تيمية موقف الحنابلة العقدي بقوله: "وأما أصول الدين والسنة والاعتقاد: فللشافعي فيها كلمات جامعة مجملة، ومالك أكثر تفصيلاً لها وبياناً، وردّاً على أهل الأهواء، وتفصيلاً للكلام من الشافعي، كما تشهد بذلك نصوصه، والإمام أحمد هو مُفَصِّلٌ للكلام في أصول الدين والفقه، تفصيلاً جيداً.

وأما أهل الرأي: فهم وإن كان لهم جمل من الكلام في ذلك، فليس لهم قواعد محررة، لا في أصول دين، ولا في أصول فقه، ولهذا كان المتبوعون لهم: فيهم من جميع أهل الأهواء؛ من المعتزلة والمرجئة والجهمية والمجسمة والخارجين والمطيعين، بخلاف أصحاب الشافعي، فإن البدع فيهم أقل بكثير جداً، والغالب عليهم بُعْدُهُمْ عن هذه البدع الكبار، وإن انتسب إلى الشافعي أفراد من المعتزلة والجهمية والرافضة؛ فذلك قليل، موجود أيضاً.

وأما أصحاب مالك فأكثر بُعْدًا من أهل الأهواء، وهي فيهم أقل؛ لأن كلامه في أصول الدين على وجه التفصيل، أكثر من كلام الشافعي، فلذلك قلّوا في أصحابه.

وهم في أصحاب أحمد أقل من الجميع، وما فيهم من البدع فهو أخف من بدع غيرهم؛ لأن كلام أحمد في أصول الدين والفقه، وبيانه لذلك بالكتاب والسنة وآثار الصحابة أكثر من غيره، بخلاف ما لم يُنص عنه، فإن كلاً منهم ينفرده فيه برأيه، ويتابع غير إمامه، ولهذا أكثر أهل الأهواء في المنتسبين إلى أهل الكوفة؛ لقلة نصوصهم المفصلة في ذلك¹

1 ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، كتاب "فضائل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل إمام من الفضيلة"، تحقيق فواز محمد العوضي، طبع في الكويت، 1433هـ، ص 10.

وأما الحنابلة اليوم، فلا نجد عندهم تباين في معتقدهم، ولا اختلاف في بعض مسائل الاثبات أو الأفعال الاختيارية، أو التحسين والتقبيح، أو أول واجب على المكلف، أو حلول الحوادث، وهذه المسائل لو جرى فيها الخلاف فهي من دقائق المسائل وفروعها التي قد يختلف فيها السلف. والحنابلة منذ القدم كالقاضي أبي يعلى وأبو الفضل التميمي وغيرهما قد ذكر عنهم شيء من ذلك ويحكي رجوعهم عنه، والعبرة في الاختلاف للحق الظاهر بالكتاب والسنة، وشيخ الإسلام ابن تيمية عندما حكى بعض هذا النوع من الاختلاف عند الحنابلة قال: "نزاعهم في مسائل الدق؛ وأما الأصول الكبار فهم متفقون عليها"¹.

واستقرار القضايا العقدية عند الحنابلة اكتمل عقده مع شيخ الإسلام ابن تيمية، لذلك ترى الحنابلة المعاصرين لا يختلفون في تلك المسائل، ومن اطلع على مؤلفات علماء المملكة المعروفين كالشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان، وغيرهم من المشايخ المتبعين لأحمد رحمه الله لا يرى إلا توافق على مسائل الاعتقاد في الجملة، مع تأكيدهم على تقرير أصول الإيمان والأخلاق وعدم اختبار الناس في تلك الدقائق من مسائل الاعتقاد، وأما الإنكار على المخالفين بالتبديع أو التكفير، فإن من ذكرنا من العلماء يضبطون ذلك بميزان الشرع، ويحذرون من التسرع في التكفير والتبديع والتجريح.

المطلب الثاني: التعايش بين الحنابلة والمذاهب الأخرى.

المدرسة الحنبلية من مؤسسها الأول الإمام أحمد بن حنبل وكانت تعتبر نفسها امتدادا لفقه الصحابة والتابعين ونهلا من أصول الاستدلال الثابتة من الكتاب والسنة، وتفرد بها ببعض الأصول مبني على طبيعة فقههم لمنهج الاجتهاد الذي رسمه السلف الأول. والتعايش بين الحنابلة وغيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى يمكن تصنيفه على النحو التالي:

أولا: التوافق المذهبي في التأصيل الفقهي:

نجد أن أصول الحنابلة مع غيرهم من المذاهب الأربعة وبعض المجتهدين المستقلين تكاد تكون متفقة على العودة إلى الكتاب والسنة والاجماع والقياس وقول الصحابة والمصالح وسد الذرائع وغيرها، وهذا يعني توافقا في الأصول، حتى لو تباينت الآراء في بعض القواعد الأصولية والفروع الفقهية. وهذا يعدّ تميزا بديعا يتميز به كل إمام في عصره، وفي طريقة فهمه النصوص ومسالك اجتهاده عند حدوث المسائل والوقائع؛ ولهذا كان أهل المدينة يتبعون في الأكثر فتاوى ابن عمر رضي الله عنهما، وأهل مكة فتاوى ابن عباس رضي الله عنهما، وأهل الكوفة فتاوى ابن مسعود رضي الله عنه، وعن هؤلاء أخذت الأمة مناهجها في النظر والاجتهاد.

1 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحارثي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، الرياض: مجمع الملك فهد، ج2، ص86. انظر تفاصيل ذلك أيضا: علاء حسن إسماعيل، المعتمد العقدي عند الحنابلة.. دعوى ونقاش، مركز سلف للبحوث والدراسات، <https://salafcenter.org/8093>.

يقول الإمام ابن القيم: "والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود وأصحاب زيد بن ثابت وأصحاب عبد الله بن عمر وأصحاب عبد الله بن عباس؛ فعلم الناس عامته عن أصحاب هؤلاء الأربعة، فأما أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر، وأما أهل مكة فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن عباس، وأما أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن مسعود"¹.

وعلى هذا الحال السديد جرت أحوال من بعدهم من التابعين وتابعيهم ومنهم الأئمة الأربعة على السير في ركب سلفهم الصالح في نشر الخير والهدى والبر والتقوى والعلم والفقه؛ بالتبليغ والتنقيح والعناية الفائقة في النظر والاستنباط، فظهر فضلهم وتقاطر نحوهم الطلاب وكثر حولهم الأصحاب وتنافسوا في جمع أقوالهم وفتاواهم وتصنيفها وتأصيلها والتععيد لها حتى بلغ أثر كل منهم مبلغاً وأخذ ذلك مذهباً وصاحبه إماماً.

فبرز فقه الأئمة الأربعة وترسخ على مر الأعوام واعتناء الطلاب والأتباع وأصبحت مذاهبهم وطرقهم في النظر والاجتهاد مشاعل نور وهداية يستضيء بها من جاء بعدهم من الأئمة والمجتهدين.

ويمكن القول إن المناهج الفقهية في النظر والاجتهاد قد تأسست وأصبحت لها معالم واضحة في البحث والاستنباط بعد القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع ومنها المذاهب الأربعة وغيرها².

وبعد منتصف القرن الرابع نشطت حركة التدوين الفقهي للمذاهب الأربعة والتصنيف في ذلك، ويعلل ذلك الشيخ مصطفى الزرقا بقوله: "فإن تدوينها. أي المصنفات الفقهية لكل مذهب. قد سهّل على الناس تناولها والناس دائماً يطلبون السهل اليسير دون الصعب العسير، وقد كان يدفع الناس إلى الاجتهاد في العصور السابقة ضرورة ملجئه إلى تعرف أحكام حوادث وشؤون جديدة لا يعرفون حكمها الشرعي، فلما جاء المجتهدون في الأدوار السابقة ودونوا أحكام الحوادث التي عرضت والتي يهتم عروضاها، صار الناس كلما عرضت لهم مسألة وجدوا السابقين قد تعرضوا لها، فاكثفوا بمقالاتهم في شأنها، فسدت حاجتهم بما وجدوا، فلا حافر يحفرهم إلى بحث جديد.

وساعد على ذلك ما للأقدمين من موقع علمي كبير جدير بالتقدير وما يكسبهم تفوقهم على مضي الزمن من إجلال، وما يكون من عناية الأمم بتكريم سلفها الصالح ليرتبط حاضرها بماضيها برباط متين، لهذا كله انصرف الناس إلى التقليد، اللهم إلا في تعرف علل الأحكام المذهبية أو ترجيح بعض الآراء في المذهب نفسه على غيرها. ويسمى من أوتي القدرة العلمية على ذلك: مجتهداً في المذهب"³.

ولا يفهم مما مضى أن جل فقهاء هذه الفترة قد أخلد إلى التقليد، بل كان في كل مذهب من أهل الاجتهاد المطلق الذي لم يقلد، ولكن سلك طريق إمامه في الاجتهاد.

1 ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية (ت751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م، ج1، ص17.

2 زيدان، عبدالكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2005م، ص 118 - 121.

3 الزرقا، مصطفى، المدخل الفقهي العام، نشر دار القلم، 2004م، ج1، ص 179.

وبين هذه الحقيقة الإمام السيوطي بقوله: "والصحيح الذي ذهب إليه بعض أصحابنا وهو أنهم صاروا إلى مذهب الشافعي لا تقليداً له؛ بل وجدوا طريقه في الاجتهاد والقياس أسد الطرق ولم يكن لهم بدّ من الاجتهاد فسلكوا طريقه وطلبوا معرفة الأحكام بطريق الشافعي... ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها والاعتداد بها في الإجماع والخلاف"¹.

ولهذا استقرت مناهج الأئمة الأربعة على أنها طرق للنظر والاستنباط في بحث أحام النوازل والمستجدات وذلك لاستيعابهم لسائر أساليب المتقدمين مما لا يسع أحداً جاء بعدهم أن يحدث طرقاً تختلف كلية عما قرروه وبينوه من أصول وقواعد.

والإمام أحمد لم يختلف في منهجه عن سبقة من الأئمة في الاحتجاج بالنصوص واعتبار فقه الصحابة والتابعين إلا أنه متميز بالأخذ بالحديث المرسل والحديث الضعيف المنجبر إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه؛ وهو الأصل الذي رجحه على القياس.²

يقول عن ذلك تلميذ الإمام أحمد أبو بكر الأثرم: "رأيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، فيما سمعنا منه من المسائل إذا كان في المسألة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث لم يأخذ فيها بقول أحد من الصحابة ولا من بعده خلافة، وإذا كان في المسألة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قول مختلف تخير من أقاويلهم، ولم يخرج عن أقاويلهم إلى قول من بعدهم، وإذا لم يكن فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه قول تخير من أقاويل التابعين وربما كان الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده شيء فيأخذ به، وإذا لم يجد خلافة أثبت منه، مثل حديث عمرو بن شعيب وحديث إبراهيم الهجري، وربما أخذ بالحديث المرسل، إذا لم ينجى خلافة"³.

ثانياً: التواصل المعرفي والنسبي بين أئمة المذاهب.

فالإمام أحمد قد أخذ من عدد من الأئمة الفقهاء الكبار مثل أبي يوسف وتلميذ أبي حنيفة النعمان، وأخذ عن الإمام الشافعي ولزمه وكذلك عن سفيان بن عيينه وابن عليه وأبن المبارك وعبد الرزاق الصنعاني، وهذا التنوع يؤكد التواصل المعرفي والفقه الذي كان يربط الإمام أحمد مع بقية شيوخ المذاهب الأخرى. وعلى ذلك سار أئمة المذاهب في الطبقات الأولى من حيث الأخذ من بعضهم والطلب المتبادل بينهم.

1 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في عصر فرض، مكتبة الثقافة الدينية، ص 114.
2 انظر: أبو زيد، بكر بن عبد الله، المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الرياض: دار العاصمة، 1997م، ج 1، ص 149-158؛ وابن بدران، عبد القادر بن أحمد، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981م، ص 41-45؛ إعلام الموقعين ج 1، ص 24-27؛ الأشقر، عمر بن سليمان، كتاب المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، دار النفائس بالأردن، 1998م، ص 153.

3 الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل الغرازي، نشر دار ابن الجوزي، 1421هـ، ج 1، ص 534.

ومما يؤكد هذا التلاقي والتكامل بين أهل المذاهب؛ انتقال العلماء الأعلام من مذهب إلى مذهب من غير نكير من أهل العلم، إلا إذا كان انتقالهم لغرض دنيوي أو اتباعاً للهوى. يقول الشعراي: "لم ينكر أكابر العلماء في كل عصر على من انتقل من مذهب إلى مذهب إلا من حيث ما يتبادر إلى الأذهان من توهم الطعن في ذلك الإمام الذي خرج من مذهبه لا غير، بدليل تقريرهم لذلك المنتقل على المذهب الذي انتقل إليه"¹، ونقل الشعراي عن القرائي قوله: "يجوز الانتقال من جميع المذاهب إلى بعضها بعضاً في كل ما لا ينتقض فيه حكم حاكم"².

ونقل أيضاً عن السيوطي أنه سمي عدداً من الذين انتقلوا من مذهب إلى مذهب من غير نكير عليهم من علماء العصر كانوا الذي فيه، منهم الشيخ عبد العزيز بن عمران الخزاعي كان من أكابر المالكية، فلما قدم الشافعي من بغداد تبعه، وقرأ عليه كتبه، ونشر علمه.

ومنهم إبراهيم بن خالد البغدادي كان حنفياً فلما قدم الشافعي بغداد ترك مذهبه وتبعه، ومنهم أبو جعفر الطحاوي كان شافعيًا وتفقه على خاله المزني ثم تحول حنفياً، ومنهم الخطيب البغدادي الحافظ كان حنبلياً، ثم عمل شافعيًا، ومنهم ابن فارس صاحب كتاب المجمل في اللغة كان شافعيًا تبعاً لوالده، ثم انتقل إلى مذهب مالك، وذكر عدداً من أهل العلم ممن تحول إلى غير مذهبه.³

ثالثاً: التعايش الفقهي بين الحنابلة وبقية المذاهب.

التعايش الفقهي بين الحنابلة والمذاهب الأخرى مر بلحظات مدّ وجزر في العلاقة، كان أهم تلك الأسباب:

1- البعد السياسي في الخلاف وتحوله إلى نزاع سلطة ونفوذ، وأكثر ما يقع عند وجود الفقهاء في السلطة واقتراحهم منها، وقد حدث ذلك في الفترة التي كان فيها الحنابلة أقرب للسلطة زمن المتوكل، كما أنهم في عهود كثيرة كانوا هم الضحية لمن خالفهم، كما وقع في زمن الإمام أحمد بن حنبل مع المأمون والمعتصم والواثق، وتكرر أيضاً ثم مع ابن تيمية ومواجهته لفقهاء الماليك في مصر والشام وما حصل له من إيذاء وإذلال واعتقال⁴، وبغداد كانت الأشد وضوحاً في الصراع خصوصاً في فترة تولي بعض الشيعة الوزارة ما جعل الحنابلة بقيادة بعض محتسبيهم القيام بالإنكار على بعض مرثي الإمام الحسين وما يفعل في المقابر من شرك وغيرها من صور أدت إلى مواجهات دامية مستمرة خلال القرن الرابع والخامس الهجري.⁵

1 الشعراي، عبد الوهاب بن أحمد، الميزان الكبرى، حققه عبدالرحمن السعدي، دار التقوى، 2022م، ج 1، ص 206.

2 المصدر السابق.

3 انظر: الأشقر، المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، ص 218.

4 انظر: ما حصل لابن تيمية مع ابن مخلوف المالكي وبعض الفقهاء الآخرين وفتنة الاثبات بدون تشبيه أو تمثيل وفتوى الطلاق بالثلاث، العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، نشر دائرة المعارف العثمانية، عام 1976م، ج 1، ص 154.

5 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق التركي، دار هجر، 1420هـ، ج 11، ص 206.

قال الإمام الذهبي معلقاً على هذه الحالة المتداخلة بين الساسة والفقهاء: "كانت الأهواء والبدع خاملة في زمن الليث، ومالك، والأوزاعي، والسنن ظاهرة عزيزة، فأما في زمن أحمد بن حنبل، وإسحاق، وأبي عبيد، فظهرت البدعة، وامتنحت أئمة الأثر، ورفع أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة، ثم كثر ذلك، واحتج عليهم العلماء أيضاً بالمعقول، فطال الجدل، واشتد النزاع، وتولدت الشبه؛ نسأل الله العافية"¹

2- تحول الخلاف الفقهي إلى مفاصلة عقائدية، تقتضي الحكم على المخالف بالضلال والبدعة، وهذا ما جعل التعايش يفقد حيويته في فترة الصراع بين الحنابلة والمعتزلة وبينهم والأشاعرة. وهذا ما حصل في فتنة ابن القشيري عام 514هـ في مواجهة أبو جعفر العباسي الحنبلي حيث وصف الأول الحنابلة بأنهم مجسمة وحشوية، مما أدى إلى تعدي بعض الحنابلة عليه، ما أدى إلى إغلاق المدرسة النظامية بسبب المواجهات الدامية بين أتباعهما.²

ومما يروى في ذلك أن أباحاتم بن خاموش (ت439هـ) فقيه أهل الري في عهد محمود بن سبكتكين (ت421هـ) كان يقول من لم يكن حنبلي فليس بمسلم³، ولا شك أن هذا الأمر مؤداه إلى الضلال والاحتراق بسبب شناعة التكفير للمخالف على أساس الانتماء المذهبي.

3- عدم وجود علماء كبار يرجع إليهم الأتباع ويخففون تغول الصراع وتحوله إلى مواجهات دامية؛ بل كان هناك صمت أو تشجيع، أما الكبار من الفقهاء أهل الحكمة والفقهاء فكانوا يرفضون تلك الممارسات، كما حصل في بغداد في سنة 317هـ حيث وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين غيرهم من العامة ودخل كثير من الجند فيها، وسبب ذلك أن أصحاب المروزي قالوا في تفسير قوله تعالى: "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً" هو أن الله سبحانه يقعد النبي صلى الله عليه وآله معه على العرش وقالت طائفة إنما هو الشفاعة، فوقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة.⁴

4- التعصب المذهبي الذي تفشى في القرن الرابع والخامس خصوصاً في العراق، فقد تحولت بعض المناطق إلى ساحات قتال وصراع بين العوام المتعصبين لأئمتهم ومذاهبهم. قال ابن الأثير: "وفيها أي سنة 323هـ

1 الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م، ج8، ص144.

2 ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 2012م، ج17، ص191.

3 الذهبي، سير أعلام النبلاء ج17، ص625.

4 الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت: دار الكتب العلمية، ج5، ص121.

عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكسبون من دور القواد والعامّة و إن وجدوا نبذا أراقوه و إن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا في البيع والشراء ومشى الرجال مع النساء والصبيان فإن رأوا ذلك سألوه عن الذي معه من هو فأخبرهم و إلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة وأرهبوا بغداد فركب بدر الخرشني وهو صاحب الشرطة عاشر جمادى الآخرة ونادى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البرهاري الحنابلة ألا يجتمع منهم اثنان ولا يتناظروا في مذهبهم ولا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الصبح والعشائين فلم يفد فيهم وزاد شرهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون إلى المساجد وكانوا إذا مر بهم شافعي المذهب أغروا به العميان فيضربونه بعصيتهم حتى يكاد يموت فخرج توقيع الراضي بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم¹

والسؤال الآن هل الحنابلة جميعا كانوا على هذه الشاكلة من التشدد والتنفير؟
الجواب أن الحنابلة الذين ظهر منهم هذا البغي في الخلاف أو ما يحكى عنهم الشدة في الاحتساب، لا يمثلون كل الحنابلة فهناك أكثر من سبعة وعشرين كتابا يجمع تراجم الحنابلة، وعدد الحنابلة حسب تلك التراجم يفوق السبعة آلاف ترجمة²، ومنتشرون في عدد من الأقطار الإسلامية؛ في الحجاز والعراق والشام وفلسطين ومصر ونجد وغيرها، ولم يعرف كلهم بهذا الوصف من التشدد، كما أن الحنابلة نافحوا عن معتقد أهل السنة وحصل لهم بسبب ذلك عدة ابتلاءات ومحن سياسية مما جعلهم مستهدفين من السلطات آنذاك تحذيرا وتشويها، فجاءت بعض تصرفاتهم كردة فعل لهذا المواجهة لهم. يقول الذهبي: "أما الحنابلة فعندهم علوم نافعة، وفيهم دين في الجملة، ولهم قلة حظ في الدنيا، والجهال يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم، وبأنه يلزمهم، وهم بريؤون من ذلك إلا النادر، والله يغفر لهم"³، وفي وصفهم العام يقول القاضي أبو يعلى: "الحنبلية على ثلاثة أصناف: صنف زهاد يصومون ويصلون، وصنف يكتبون ويتفقهون، وصنف يصفعون كل مخالف"⁴، كما غلب على الحنابلة الورع والبعد عن المناصب، وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه السلوكيات في الغالب تجعل أصحابها في عدا مع الكثير من أصحاب السلطة الفقهية والسياسية.

1 ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997م، ج8، ص308.

2 انظر: الطريقي، عبدالله بن محمد، كتابه الحنابلة خلال ثلاثة عشر قرنا، دار الصميعي للنشر، 2012م. يقع في 14 مجلد.

3 الذهبي، شمس الدين، بيان زغل العلم والطلب، (وهناك من يشكك في نسبته للذهبي)، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، 2023م، ص 19.

4 ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1952م، ج3، ص76.

رابعاً: التمازج التجديدي بين الحنابلة وبعض الفقهاء.

حصل هذا التمازج والتوحد الإصلاحي في بعض الفترات التاريخية عندما شكل شيخ الإسلام ابن تيمية فريقاً من المجددين المصلحين في المجال الفقهي قاموا بجهود مشكورة في حفظ السنة ونبت التعصب والتصنيف الابداعي لعدد من الموضوعات وأقصد هؤلاء المتأثرون بابن تيمية، أمثال الذهبي وابن كثير والمزي وابن حجر وغيرهم ممن يمثل مدارس فقهية مختلفة ومع ذلك ينسبون للمدرسة التيمية.

وفي عصرنا الحاضر برزت فكرة التقريب بين المذاهب لتخفيف التعصب وبناء جسور التلاحم بين المسلمين، إلا أنها لا زالت في إطارها النظري والنخبوي ولم تنزل للميدان الفقهي والتدريسي، مع وجود عدد من المشككين والمحذرين من هذه المبادرات، ومن المعاصرين المتأثرين بهذه المدرسة الشيخ محمد رشيد رضا فقد قال: "ولا نعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، وإنني أقول عن نفسي: إنني لم يطمئن قلبي بمذهب السلف تفصيلاً إلا بممارسة هذه الكتب"¹.

المطلب الثالث: موقف الحنابلة من الشيعة والمتصوفة:

أولاً: موقف الحنابلة من الشيعة.

يتلخص موقف الإمام أحمد وأتباعه الكبار من الشيعة في النقاط التالية:

- انصرف أحمد يجمع السنن وآثار الصحابة، وبحث من خلالها عن أحكام تنقذ الناس من الضلال، وكان يجمع ما رواه الصحابة من أحاديث، كل على حدة، ويسند إلى الصحابي ما رواه، فكان لا بد أن يجمع ما رواه الإمام علي بن أبي طالب لا يباي في ذلك أن يتهمة أحد بالتشيع أو بالميل إلى العلويين، في وقت كان هذا يعدّ سبباً للتهمة والتشيع، والحق أنه ما كان متشيعاً ولا صاحب ميل للعلويين، ولكنه تقرر لديه أن الإمام علي كان أحق بالخلافة من معاوية، وأن معاوية كان باغياً، ودافع أحمد عن رأي أستاذه في مواجهة منتقديه، وقد روى أحمد عن شيخه الشافعي: "قال رجل في علي: ما نفر الناس منه إلا أنه كان لا يباي بأحد. فقال الشافعي كان في علي كرم الله وجهه أربع خصال لا تكون منها خصلة واحدة لإنسان إلا يحق له ألا يباي بأحد، كان زاهداً، والزاهد لا يباي بالدنيا وأهلها، وكان عالماً، والعالم لا يباي بأحد، وكان عالماً، والعالم لا يباي بأحد، وكان شجاعاً والشجاع لا يباي بأحد، وكان شريفاً والشريف لا يباي بأحد. وكان علي كرم الله وجهه قد خصه النبي صلى الله عليه وسلم بعلم القرآن، لأن

1 رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج1، ص211.

النبي عليه الصلاة والسلام دعا له وأمره أن يقضي بين الناس، وكانت قضاياه ترفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيمضيها.¹

- لاحظ الإمام أحمد في عصره أن بعض الفقهاء يفضلون العباس على الإمام علي بن أبي طالب، نفاقا للخلفاء والأمراء من بني العباس، وسمع الإمام أحمد أحد الفقهاء يذكر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بما لا ينبغي، ويشكك في حقه في الخلافة، فأنبأني أحمد يقول للفقهاء على مشهد من الناس: "من لم يثبت الإمامة لعلي فهو أضل من حمار، سبحان الله! أكان علي كرم الله وجهه يقيم الحدود ويأخذ الصدقة ويقسمها بلا حق وجب له؟! أعوذ بالله من هذه المقالة؛ بل هو خليفة رضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلوا خلفه، وغزوا وجاهدوا، وحجوا معه، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين راضين بذلك غير منكرين، فنحن له تبع" ثم قال: "ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لأمرير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه".²

- إن ظروف الملاحقة وأجواء المراقبة الشديدة لأئمة أهل البيت؛ حالت دون حدوث لقاء بينهم وبين الإمام أحمد، فقد كان هو الآخر يعيش محنة حقيقية، ولكن عدم اللقاء وعدم الاجتماع لا يعني وجود تقاطع أو تدابر؛ بل إن الحب والتقدير والتكريم كان قائماً، وكان كثير العلاقة مع عموم العلويين، حتى قيل للمتوكل أنه يأوي العلويين ويدعو إلى بيعتهم، وقد فتش منزله للتأكد من ذلك.³، وكان يدافع عن علي بن أبي طالب في عهد المتوكل الذي عرف بمعاداته لأهل البيت، وقد قال في حقه وحق أهل البيت: "إن الخلافة لم تزّين علياً، بل علي زينها". وقال أيضاً: "ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل مثل ما لعلي بن أبي طالب".⁴ والدفاع عن أهل البيت (عليهم السلام) ونشر فضائلهم في عهد المتوكل وغيره يدل دلالة واضحة على حبه لهم وموالاتهم.

- أخذ الإمام أحمد الرواية من عدد ممن عرفوا بالتشيع وقد ذكرهم ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، كما أورد هذا الحديث الذي نقله الخطيب بقوله بسنده: "أن عبد الرحمن بن صالح الشيعي كان يغشى أحمد

1 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص 92.

2 ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، مناقب الإمام أحمد، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، 1989م، ص 213.

3 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص 261.

4 المرجع السابق.

بن حنبل فيقره أحمد ويدنيه فليل له: يا أبا عبد الله، إنه رافضي، فقال: سبحان الله؟ رجل أحب قوما من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نقول له لا تحبهم: هو ثقه" ¹.

- أما العلماء الذين أخذ عنهم الإمام أحمد وقد اهتموا بالتشيع، منهم: اسماعيل بن أبان الازدي أبو أسحاق الكوفي، واسحاق بن منصور السلوي أبو عبد الرحمن الكوفي (خرج حديثه أصحاب الصحاح الستة)، و تليد بن سليمان المحاربي أبو سليمان الكوفي روى له الترمذي في صحيحه وقال فيه أحمد: أن مذهبه التشيع ولم أر به بأساً، والحسين بن الحسن الفزاري أبو عبد الله الأشقر الكوفي خرج له النسائي، وخالد بن مخلد القطواني أبو الهيثم، وكان من كبار شيوخ البخاري، وخرج حديثه في صحيحه ومسلم والنسائي ومالك بن أنس في مسنده، واعتقد ان التشيع المقصود هنا؛ هو التشيع الأول المبني على تفضيل الإمام علي على الخليفة عثمان، مع بعض الخلاف في ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، كما لا ينبغي ان نفهم أن موقف الحنابلة كان موقف الموافقة دائماً، فالإمام أحمد مع صراحة موقفه في مدح آل البيت والثناء عليهم، مع ما يسببه له هذا الموقف من حرج سياسي؛ إلا أنه أثر النطق بالحق، وبيان موقفه القيمي والديني من آل البيت، ثم إن الإمام أحمد كان لا يرى الخروج على الإمام بالسيف، وهو كذلك موقف شرعي ومبدأ عند الإمام أحمد خالف فيه الشيعة أيضاً، كما خالفهم في كثير من المسائل العقدية في الصحابة والإلهيات والولاية وغيرها.

ثانياً: موقف الحنابلة من الصوفية.

كان للحنابلة وعلى رأسهم الإمام أحمد موقف واضح من الصوفية، ظهر على شكلين اثنين: الأول: رفض بعض الممارسات الصوفية التي يغلب عليها الوجد والحال الغنوصي، وأبرز من كان له موقف يخالف فيه بعض ممارساتهم واجتهاداتهم المحاسبي والسري السقطي وذو النون المصري، وهو لا يخالفهم في أصل التصوف، ولكنه يرفض الزيادات التي لحقت بالتصوف ولم تكن على نهج السلف الأول من الصحابة والتابعين. الثاني: موقف الموافقة والتأييد للتصوف الوليد المقيّد بأصول الشرع والعقيدة مثل إشادة الإمام أحمد ببشر الحافي، وهو صوفي معروف وله عدد من التراجم في كتب التراث، كما صنف هو كتاب الورع والزهد، ولا يخفى أن عدد من أئمة الحنابلة في القرن الرابع والخامس والسادس كانوا من كبار المتصوفة مثل عبد القادر الجيلاني وابن الجوزي.

1 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج10، ص 261.

المطلب الرابع: ابن عقيل الحنبلي، من شواهد التعايش والتباين الحنبلي:

يعدّ ابن عقيل الحنبلي من أكثر الفقهاء نبوغاً وتصنيفاً وسعة اطلاع، كذلك من أكثرهم إثارة للجدل في الوسط الفقهي والكلامي والسياسي، هذه السيرة العطرة بالوقائع والأحداث لا تزال تثير الرغبة في قراءتها وتحليلها، ودافع لدى كثير من دارسي هذا الإمام محاولة جمع أجزاء الصورة المختلفة والمتباينة لشخصيته من أجل فهم أدق وأعمق لمنهجه في التفكير والاجتهاد الديني.

أما الفترة التي عاشها ابن عقيل الحنبلي فقد كانت في القرن الخامس الهجري في الفترة من (431هـ - 513هـ/ 1040-1119م) أي في المرحلة الذهبية للفقه المذهبي، كما أن إقامته في بغداد حاضرة العلم ومأرز العلماء والفقهاء قد جعلته من تلك النجوم السّيارة وفي عداد الربانيين الأفاضل، قال ابن رجب عنه: "كان من أفاضل العالم وأذكى بني آدم مفرط الذكاء متسع الدائرة في العلوم"¹، ومع انتمائه للمدرسة الحنبلية وتأثره بأعلامها الكبار إلا أنه قد تميز عن فقهاء مذهبه وبقية المذاهب بصفات جعلت له فرادة عن غيره حتى عصرنا الحاضر، قال عنه الإمام الذهبي: "الإمام العلامة، البحر، شيخ الحنابلة، المتكلم، صاحب التصانيف، كان يتوقد ذكاءً، وكان بحر معارف، وكثر فضائل، لم يكن في زمانه نظير"²، ويمكن ذكر أهم الميزات التي طبعت شخصية الإمام ابن عقيل وأثارت عليه النقد والبلاء من بعض فقهاء عصره، والسبب في إيرادها في هذا السياق، أوجزها فيما يلي:

أولاً: طلبه العلم على أيدي علماء ومشايخ من مدارس مختلفة و مذاهب متنوعة مثل ابن الدامغاني الحنفي (ت 478هـ)، وابو القاسم ابن برهان العكبري من الاحناف (ت 456هـ) وابو الطيب الطبري الشافعي (ت 450هـ) وابو اسحاق الشيرازي الشافعي (ت 476هـ) والخطيب البغدادي من الشافعية (ت 463هـ) وعدد من كبار علماء الصوفية في عصره كالقزويني (ت 452هـ) وابو منصور العطار (ت 571هـ)، ما شكّل منه عقلية متميزة ومناظرة، تفحص وتنتقد وتجادل بأسلوب منهجي نفيس، وأغلب ما جاء في كتابه العظيم الفنون هو عبارة عن تلك المناظرات التي عقدها مع مخالفيه، ويمكن الرجوع لكتابه (الجدل) وهو على طريقة الفقهاء، لتتضح هذه المنهجية العقلية الفريدة في الاثبات والحجاج.

واستعمال المنطق في كتب ابن عقيل الأصولية تدل على إيمانه العميق بأهميته في تجلية أدوات التحليل العقلي وضبط منهجية الاستدلال الأصولي من الانحراف بسبب التقليد أو العصبية، وهذا المنحى العقلاني لدى ابن عقيل يعتبر من ميزاته الخاصة عن بقية الحنابلة في عصره ومن جاء بعده، فهم وإن برزوا في مجال المناظرة العقديّة إلا أنه خاضها بشمولها في الفقه والأصول والكلام.

1 بن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، ذيل طبقات الحنابلة، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م، ج 1، ص 61.

2 الذهبي، سير اعلام النبلاء ج 19، ص 433.

ثانيا: برز من شيوخ الإمام ابن عقيل عدد من النساء اللاتي طلب العلم على أيديهن، مثل ماشطة بغداد - كذا تكني- (عاشت ق 5هـ) والحزانية وبنت الجنيد وبنت الغزاد فقيهاة عشن في القرن الخامس الهجري.¹، وهذه الأمر لم يكن مستغربا في سير علمائنا الأوائل كون المرأة كانت تتعلم وتعلم وتشارك في مجالس العلم، وذكر الإمام ابن عقيل بعض من درسه من النساء؛ تأكيد على قيمة المرأة وتمكينها من مجالس العلم، بالقدر الذي يتفشى فيه الخير دون أن يكون ذريعة للمنكر، وكم استغرب أن يترفع الكثير من المترجمين المعاصرين عن ذكر تلك الاخبار والتراجم عن نساء السلف العالمات؛ مع أهمية ذكره في إزالة شبه كثيرة عن دور المرأة في الإسلام.

ثالثا: اشتغل ابن عقيل بمذهب المعتزلة، وأخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال أبي علي بن الوليد (ت 478هـ)، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري (ت بعد 450هـ)، فتأول بعض صفات الله عزوجل وترحم على الحلاج (ت 309هـ) وأراد الحنابلة قتله لأجل ذلك، فاستجار بباب المراتب عدة سنين، وكان يقول: "كان اصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء وكان ذلك يحرمني علما نافعا، فأوذيت من أصحابي حتى طلب الدم " ². إلى أن أعلن توبته؛ بل كتبها بخطه سنة 465هـ، وشهد عليه جماعة من الشهود والعلماء، إضافة إلى أنه أُلّف في الرد على المعتزلة ونقض معتقدهم بما توصل إليه من يقين وحجة، ولا أظن أن ابن عقيل أخفى معتقده في المعتزلة بسبب الضغوط المذهبية عليه، بل قال رحمه الله فيمن استتابه: "أنهم مصيبون في الإنكار علي؛ لما شاهدوه بخطي من الكتب التي أبرأ إلى الله منها وأتحقق أني كنت مخطئا غير مصيب"³، لم يكن ينقص ابن عقيل حجة في الرد والإفحام على أحد يخالفه، فقد كان فارس المضمار حتى ان الكيا الهراسي من علماء بغداد يطلب منه الترفق عند المناظرة، ولم يكن كذلك مقلدا لأحد؛ بل متبعا للدليل موافقا لأصول الأمام أحمد، لذلك أعتقد انه تراجع عن المعتزلة طواعية بعدما انكشف له الحق، ودخل في مدرستهم أيضا برغبة ومقدرة على التمييز، جعلت منه خبيرا يفرق بين ما هو مقبول وما يستحق الرد، ويمكن ان نصف ابن عقيل بانه متسع النظر في الاستفادة من كل من يرى فيه نفع وفائدة، ومع شدة أصحابه الحنابلة على المعتزلة لم يمنعه أن يتعرف على ما عندهم من علوم إلى درجة أنهم كانوا ينهونه عن الأخذ منهم.

رابعا: مما تميز فيه الامام ابن عقيل كذلك، إنكاره على الأمراء والسلاطين في عصره لفعلهم بعض المنكرات وفق أصول المذهب التي تراعي المصلحة وعدم إثارة الغوغاء، وقد ذكر ابن رجب عدد من رسائله إليهم.⁴ وهذا معهود عند الحنابلة قديما، وربما كان لزهدهم بالدنيا وتقشفهم عن متاعها وشدة ورعهم أنهم كانوا يحتسبون على مخالفتهم من الأمراء والعلماء، وقد صرح ابن عقيل أن هذه الأسباب وغيرها هي ما جعل مذهبهم ضعيف الانتشار بالمقارنة

1 ابن عقيل، أبو الوفاء، مقدمة تحقيق الواضح في أصول الفقه، تحقيق عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2019م، ج 1، ص 11.

2 ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ج 1، ص 143.

3 المرجع السابق ج 1، ص 145.

4 المرجع السابق ج 1، ص 147-151.

بأصحابهم من الحنفية والشافعية، إلا أن له قول مفرد خالف فيه الكثير من الحنابلة وهو القول بالخروج على الإمام الظالم، و وافقه تلميذه ابن الجوزي على ذلك، وقد استشهد بخروج الحسين على يزيد لإقامة الحق، بينما نصوص الإمام أحمد وكبار تلاميذه تنص: أنه لا يحل، وأنه بدعة مخالفة للسنة، كما أنهم كانوا يأمرن بالصبر، وأنه إذا وقع عمت الفتنة، وانقطعت السبل، وسفكت الدماء، وتستباح الأموال، وتنتهك المحارم.¹

خامسا: وقد جاء ذكر الامام ابن الجوزي الذي كان من أشد المتأثرين بشيخه ابن عقيل، وقد كان ابن الجوزي بحرا زاخرا في العلم، ألف كتب كثيرة، لكنه كما قيل كثير الغلط فيما يصنفه، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره، قال الذهبي معلقا على ذلك: "قلت هكذا هو له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف، وصنف شيئا لو عاش عمرا ثانيا لما لحق أن يحرره ويتقنه"²

وله كتاب مثير سماه " دفع شبه التشبيه " قال عنه: " ولما علم بكتابي هذا جماعة من الجهال لم يعجبهم لأنهم ألفوا كلام رؤسائهم من المجسمة فقالوا ليس هذا المذهب"³، لكن كلامه في كتب أخرى خير من كلامه في هذا الكتاب، وهذا من تناقضه الذي عرف به، وقد ألمح شيخ الإسلام إلى ذلك فقال: "إن أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات؛ بل له من الكلام في الإثبات نظما ونثرا ما أثبت به كثيرا من الصفات التي أنكرها في هذا المصنف، فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس يثبتون تارة وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل، وأبي حامد الغزالي"⁴.

هذه المقدمات السابقة عن الإمام الجليل ابن عقيل تؤكد وجود فريدة علمية من حيث التوسع في الطلب والتنوع في الأخذ عن المدارس الكلامية والمتصوفة واختيار الاتجاه الثوري في تعامله مع السلطة، ما يجعله في حرية الترجيح عندما يرى قوة الدليل تلوح في تفكيره، وقد أنكر عليه في قول ليس في مذهبه الحنبلي، فقال: "أنا لي اجتهد، متى ما طالبني خصمي بحجة كان عندي ما أدفع به عن نفسي، وأقوم له بحجتي" وكان يقول: "الواجب اتباع الدليل، لا اتباع أحمد"⁵، وهذا المنزع لا ينقض مذهبه؛ ولكن بلغ رتبة الاجتهاد في النظر، وما ذكر في حقه من أخطاء فقد ذكرنا تراجعه عنه، أو أنها من المسائل الفروعية التي يسوغ فيها الاختلاف حتى داخل المذهب الواحد، ومذهب الإمام أحمد من أكثرها توسعا في الآراء الفقهية، ومع هذا فكان شديد الاحترام والتقدير لأصحابه الحنابلة حتى في أشد أوقات الخلاف بينهم.

1 انظر: ابن مفلح، محمد بن مفلح المقدسي (ت763هـ)، الفروع، تحقيق عبدالله بن عبدالحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج11، ص316.

2 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص378.

3 ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق حسن السقاف، عمان: دار الإمام النووي، ص80.

4 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج4، ص169.

5 ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ج1، ص157.

لذلك كان التذكير بهذه القامات الفقهية مهمّ في أوقاتنا المعاصرة من أجل تنشيط الفعل التجديدي والتفكير الفقهي الإبداعي الذي يستلهم تجارب الأوائل ويستفيد من منهجيتهم الاستدلالية في وضع حلول لأزماتنا الفقهية والفكرية الراهنة، وابن عقيل وقد مرّ على ولادته قرابة ألف عام لا يزال علمه لم يبحث بتوسع ما يجعله مستحقاً أن يفرد بدراسة معمقة وتحليل دقيق لعقله الوفيّ لدينه وأمته، لهذا كان لأسمه نصيب من إبداعه العقلي.

الخاتمة والنتائج:

يمكن أن تكون على النحو الآتي:

1. أثبت البحث أن المدرسة الحنبلية لم تكن مدرسة صدامية بطبيعتها، بل احتوت على نماذج متعددة للتعايش والحوار العلمي .
2. أن كثيراً من صور الصراع التاريخي ارتبطت بعوامل سياسية واجتماعية أكثر من ارتباطها بالأصول الفقهية للمذهب .
3. وجود قدر كبير من التواصل العلمي والمعرفي بين الحنابلة وغيرهم من أتباع المذاهب الإسلامية .
4. أسهم عدد من أعلام الحنابلة في بناء جسور التفاهم والتجديد الفكري داخل الحضارة الإسلامية .
5. يزرخ التراث الحنبلي بقواعد يمكن الاستفادة منها في تعزيز ثقافة التعايش وإدارة الاختلاف في المجتمعات المعاصرة .

التوصيات

- العناية بالدراسات التطبيقية في فقه التعايش المذهبي .
- إبراز النماذج الإيجابية في التراث الإسلامي .
- تطوير مناهج تعليمية تعزز ثقافة الحوار واحترام الاختلاف.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

- [1] Abu Zayd, Bakr ibn ‘Abd Allāh. *Al-Madkhal al-Mufaṣṣal ilā Madhhab al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal*. Riyadh: Dār al-‘Āṣimah, 1997.
- [2] Al-Ashqar, ‘Umar ibn Sulaymān. *Al-Madkhal ilā Dirāsāt al-Madāris wa al-Madhāhib al-Fiḥiyyah*. Amman: Dār al-Nafā’is, 1998.
- [3] Al-Baghdādī, Aḥmad ibn ‘Alī al-Khaṭīb. *Al-Faqīh wa al-Mutaḥḥiqh*. Edited by ‘Ādil al-Gharāzī. Riyadh: Dār Ibn al-Jawzī, 1421 AH.
- [4] Al-Qarāfī, Aḥmad ibn Idrīs. *Al-I’lām fī Tamyīz al-Fatāwā ‘an al-Aḥkām*. Edited by ‘Abd al-Fattāḥ Abū Ghuddah. Beirut: Dār al-Bashā’ir, 1995.
- [5] Al-Ṭurayqī, ‘Abd Allāh ibn Muḥammad. *Al-Ḥanābilah Khilāl Thalāthata ‘Ashara Qarnan*. Riyadh: Dār al-Ṣumay’ī, 2012.
- [6] Al-‘Asqalānī, Aḥmad ibn ‘Alī Ibn Ḥajar. *Al-Durar al-Kāminah fī A’yān al-Mi’ah al-Thāminah*. Hyderabad: Dā’irat al-Ma’ārif al-‘Uthmāniyyah, 1976.
- [7] Al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad Shams al-Dīn. *Bayān Zaghl al-‘Ilm wa al-Ṭalab*. Cairo: al-Maktabah al-Azhariyyah li al-Turāth, 2023.
- [8] Al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad Shams al-Dīn. *Siyar A’lām al-Nubalā’*. Edited by Shu‘ayb al-Arnā’ūṭ. Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1985.
- [9] Al-Sha‘rānī, ‘Abd al-Wahhāb ibn Aḥmad. *Al-Mīzān al-Kubrā*. Edited by ‘Abd al-Raḥmān al-Sa’dī. Riyadh: Dār al-Taqwā, 2022.
- [10] Ibn Abī Ya‘lā, Muḥammad Abū al-Ḥusayn. *Ṭabaqāt al-Ḥanābilah*. Edited by Muḥammad Ḥāmid al-Fiḥī. Cairo: Maṭba‘at al-Sunnah al-Muḥammadiyyah, 1952.
- [11] Ibn al-Athīr, ‘Alī ibn Abī al-Karam. *Al-Kāmil fī al-Tārīkh*. Edited by ‘Umar ‘Abd al-Salām Tadmurī. Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1997.
- [12] Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj. *Al-Muntaẓam fī Tārīkh al-Mulūk wa al-Umam*. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2012.
- [13] Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj. *Manāqib al-Imām Aḥmad*. Edited by ‘Abd Allāh al-Turkī. Cairo: Dār Hajar, 1989.
- [14] Ibn Kathīr, Ismā‘īl ibn ‘Umar Abū al-Fidā’. *Al-Bidāyah wa al-Nihāyah*. Edited by ‘Abd Allāh al-Turkī. Cairo: Dār Hajar, 1420 AH.
- [15] Ibn Mufliḥ, Muḥammad ibn Mufliḥ al-Maqdisī. *Al-Furū’*. (Complete edition data as used in the thesis.)

- [16] Ibn Rajab, ‘Abd al-Raḥmān ibn Aḥmad. *Dhayl Ṭabaqāt al-Ḥanābilah*. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1995.
- [17] Ibn Taymiyyah, Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. *Faḍā’il al-A’immah al-Arba’ah wa Mā Imtāza Bihi Kull Imām min al-Faḍīlah*. Kuwait, 1433 AH.
- [18] Ibn Taymiyyah, Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. *Majmū‘ al-Fatāwā*. Collected by ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Qāsim and Muḥammad ibn Qāsim. Riyadh.
- [19] Ibn ‘Aqīl, Abū al-Wafā’ ‘Alī ibn ‘Aqīl. *Al-Jadal ‘alā Ṭarīqat al-Fuqahā’*. Edited by ‘Alī ibn ‘Abd al-‘Azīz al-‘Umayrīnī. Cairo: Maktabat al-Thaqāfah al-Dīniyyah, 2010.
- [20] Ibn ‘Aqīl, Abū al-Wafā’. *Muqaddimat Taḥqīq al-Wāḍiḥ fī Uṣūl al-Fiqh*. Edited by ‘Abd Allāh al-Turkī. Beirut: Mu’assasat al-Risālah Nāshirūn, 2019.
- [21] Jumu’ah, ‘Alī Muḥammad. *Al-Madkhal ilā Dirāsāt al-Madhāhib al-Arba’ah*. Cairo: Dār al-Salām, 2001.
- [22] Riḍā, Muḥammad Rashīd. *Tafsīr al-Manār*. Cairo: al-Hay’ah al-Miṣriyyah al-‘Āmmah li al-Kitāb, 1990.
- [23] Zaydān, ‘Abd al-Karīm. *Al-Madkhal li-Dirāsāt al-Sharī‘ah al-Islāmiyyah*. Beirut: Mu’assasat al-Risālah Nāshirūn, 2005.
- [24] Al-Zarqā, Muṣṭafā Aḥmad. *Al-Madkhal al-Fiqhī al-‘Āmm*. Damascus: Dār al-Qalam, 2004.

TRANSLITERATION

a. Consonant

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ء	‘	فَأَرْ	fārun
أ	(a,i,u)	أَحْكَام	aḥkām
ب	b	بَابُ	bābun
ت	t	تَمْرٌ	tamr
ث	th	ثَلَاثُ	thalātha
ج	j	جَبَلٌ	Jabal
ح	ḥ	حَدِيثٌ	ḥadīth
خ	kh	خَالِدٌ	khālīd
د	d	دِينٌ	dīn
ذ	dh	مَذْهَبٌ	madhhab
ر	r	رَاهِبٌ	rāhib
ز	z	زَكِيٌّ	zakī
س	s	سَلَامٌ	salām
ش	sh	شَرَبٌ	sharaba
ص	ṣ	صَدْرٌ	ṣodrun
ض	ḍ	ضَارٌ	ḍār
ط	ṭ	طَهْرٌ	ṭahura
ظ	ẓ	ظَهْرٌ	ẓohr
ع	‘	عَبْدٌ	‘abdun
غ	gh	غَيْبٌ	ghayb
ف	f	فَاتِحَةٌ	Fātihah
ق	q	قَبَسٌ	qabas
ك	k	كِتَابٌ	kitāb

ل	l	لَيْلٌ	layl
م	m	مُنِيرٌ	munīr
ن	n	نِقَابٌ	niqāb
و	w	وَعَدٌ	wa ^c ada
هـ	h	هَدَفٌ	hadaf
ي	y	يُوسُفُ	Yūsuf

b. Short Vowel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
اَ	a	كَتَبَ	kataba
اِ	i	عَلِمَ	°alima
اُ	u	غَلِبَ	ghuliba

c. Long Vowel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
اَ ، اِ ، اِوْ	ā	عَالَمٌ ، فَتَى	°ālam , fatā
يِ	ī	عَلِيمٌ ، دَاعِي	°alīm , dā°ī
وِ	ū	عُلُومٌ ، أُدْعُو	°ulūm , 'ud°ū

d. Diphthong

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
أَوْ	aw	أَوْلَادٌ	aulād
أَيَّ	ay	أَيَّامٌ	ayyam
إِيَّ	iy	إِيَّانَكَ	iyyāka